



الله موجود دائمًا.. ويُبصر الدماء والأرواح المسلمة والمظلومة، وهي تُزهق منذ بدء الخليقة وسيظل يبصّرها حتى قيام الساعة، لكنه سبحانه سنّ سنّاً وشرع قوانين ليعبّر إليها عباده إلى رفع الضر والانتصار، وتغيير الحال حال؛ وأطلعهم أنها الطريقُ الوحيدُ الموصىُ إلى النصر، أن لا يتّظروا حلول النصر في محطة أخرى.

الله سبحانه لا يكافي بالنصر من سالت دمائهم بسبب تقصيره في الإعداد وتأخره عن السنّ، مهما صرخ ونادي، وظلّ على تقصيره. فالصراخ دون عملٍ أو إعدادٍ رميٌ مُبطنٌ للتّهمة على الله سبحانه عن عباده، وإخلاله بما وعد به، وفيه من الإساءة بالأدب ما فيه.

النصر .. إنما يمنّه الله لعباده الذين بذلوا جهدهم بالإعداد، والتّفتّش عن السنّ المalaّمة وتحقيقها، ولمن تصبّ العرقُ منهم، وسالت دمائهم برهاناً وإنّياتاً على صدقهم بالتضحيّة، وجديتهم في طريق رفع الظلم ومدافعة الظالم، وعلى رغبتهم الحقيقة بتغيير الحال في غمرة القصف والدم (تقول الناسُ ومنشورات الفيس بوك المتعاطفة مع شهداء حلب)

إن دماء المسلمين المظلومة في حلب، ودعاء الأيام والأرامل والأيتام، لن تذهب هدراً أو سدى، وأن الله سينصرهم، ولو بعد حين، كونهم تعرضوا لقتل وسفك كبير في الدم بهذه الصورة المريرة، إلا أنّ سنّ الكون تقول شيئاً آخر:

تقول: إن الله يختزنُ عنده دعوات المظلومين، وقضايا المضطهدين، ليأخذ لها حقّها ممّن ظلمها، في الدنيا أو في الآخرة، سواء كان الظالم هو العدوّ بشكل مباشر، أو ممّن كان بإمكانه أن يجبر تلك الدعوات وخذلته ذنوبه ومشاريعه الهاشمية بشكل غير مباشر.

كما أنّ السنّ تقول شيئاً آخر مهماً جداً، وهي أن الله يغير صورة الواقع، وينتقم وينزل نصره بواسطة عبيده أنفسهم، لا بقدر استثنائيٍ فجائي يأتي بغتة، عبيد لهم مواصفات خاصة، يحققون شروطاً خاصة، ويلتزمون منهاجاً ومفاهيم خاصة، لم تكن حكراً يوماً عن أحد، أو ممحوبة عنه، ولقد أشار الله لهذه المعادلة بأكثر من موضع:

[فسوف يأتي الله بقومٍ يحبّهم ويحبّونه، أذلة على المؤمنين، أعزّة على الكافرين].

[إن تولوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم].

إذاً الله سينتقم وسيستجيب دعوة من ظلم، لكن ليس ضمن الموازين الحالية، ليس بهذا التشرذم والتفرق المُخلل، ليس بوجود الامبراطوريّات المصغرة التي تتنازع على أرضٍ لم تتحرر بعد.. ليس بالمواصفات الحالية!.

(كيف سينتصر فريق إذا ما خمدت جبهتهم مع عدوهم، أدوارها فيما بينهم، يتشارعون على النفوذ والسيطرة؟)

ليس كل أفراد الفصائل السورية سواسية.. صحيح، وما قد يرتكبه قائدٌ ما، قد لا يرضيه أحدٌ عناصره، والمطلوب هو النهي.. نهيء عن ذلك، الوقوف في وجهه.. أن "كفى.. لقد بتنا في العام الخامس.. هل تريد أن تمتد لعام آخر؟!"

المطلوب هو التخلص من الحالة المهيمنة، وهي القبول بالخطأ الممزوج بالركود، والسير بغير خطة ومسار واضح المعالم.

من عادة الحقيقة الواضحة أن يكون طعمها مرًّا ومذاقها سيئاً لأنها تصدم الجيل بعيوبه، وتحمله جريرة تردّي الحال وسوء الوضع، وعلى مرّ التاريخ.. دائمًا ما كان الناس يتأخرون في الاعتراف بها مكابرة، لما تحملها ضمناً بوجههم من اتهامات وتضييق على أهوائهم ونفوسهم فيما لو رضخوا لها.

وفي بعض مراحل التاريخ كان المجتمع يفيء للطريق الصحيح، ويرضخ للمعيار السليم، وبات يطرقُ الغايات من أبوابها الصحيحة، بعد أن تحاصرهم الظروف وتغلبهم أخطاؤهم، ويصبح الالتزام والرضوخ للمسار السليم هو الخيار الوحيد المتبقى إن أراد المجتمع تجنب الهلاك.

دعواى المظلومين لن تذهب سدىً... نعم، والديان لا ينام.. نعم، وسينزل نصره على السوريين.. نعم.. لكن ليس بصاعقة من السماء، ولا بملائكة مسؤمة، ولا بفيضان من البحر المتوسط، وإنما بواسطتهم هم، بعد أن يستفيقوا من وهم امبراطوريتهم المصغرة، وينبذوا المشاريع الدخيلة، وتتوجه بنادقهم بالكلية جهة النظام.

على السوريين عامة، وقادة الفصائل خاصة أن لا يتوقعوا أن الله سينزل صاعقة تقتصُ من الظالم والقاتل لشدة إجرامه وطغيانه، فيما هم ذاتهم قد أهملوا شروط النصر والتغيير.

ربما في ظروف استثنائية جدًا.. وبآخر المطاف، قد يعاقب الله الظالم من فريق المضطهدين، المعنى بتأخير النصر، ليستبدلهم بآخرين مناسبين ويصلحون لإكمال المشوار بنقاء ونظافة، مع من تبقى مكافحاً حياً من الشعب.

إلا أنه اللطيف.. الرحيم.. الرحيم.. يمهل.. ويمهل.. وتسجل كتبته سائر ما يجري، ويترك العذاب للخيارات الأخيرة، غير غافلٍ عما يقترف الظالمون.

لم على الله أن ينصرنا في حلب وغيرها؛ إن لم نؤدِّ ما علينا مما طلبه بالفعل؟!

التساؤل عن تأخر نصر لم يُنتظر قطاره في المحطة الصحيحة، ولم يُطرق من بايه المناسب، ولم يؤخذ بأبسط سنته.. إنما هو (سوء أدب، وتحميلٌ لله مسؤوليات ليست من شأنه، واتهامٌ مبطّنٌ له بالتقسيم)

السوري الجديد

المصادر: